العرب
الأربعاء 2020/08/26
السنة 43 العدد 11801

ياسمين قرية مصرية يفوح أريجه في أنحاء العالم

مزارعو «شبرا بلولة» يشقون لإنتاج عطر باريسي باهظ الثمن

يشقى مزارعو الياسمين في مصر متخذين من الليل لحافا في أعمالهم التي تستمر حتى ساعات الصباح الأولى لجني زهرة الياسمين العطرة. ورغم أن عائد جهدهم قليل مقابل ما يجنيه صناع الزيوت والعطور، إضافة إلى وباء كورونا الذي عطل تصدير محصول هذا الموسم، فإن كل ذلك لا يثني عزمهم على مواصلة زراعة النبتة القادمة من مدينة "غراس" الفرنسية.

زهرة فرنسية تستوطن مصر

شبرا بلولة (مصر) – ما إن ينتصف الليل حتى تضع إيمان مهنّا، الفلاحة المصرية الشابة، مصباحا على رأسها وتبدأ في جمع زهور الياسمين التي تفوح رائحتها على بعد كيلومترات من قريتها شبرا بلولة في محافظة الغربية حيث يتم إنتاج أكثر من نصف العجينة الخاصة باستخراج عطر الياسمين في العالم.

تقول مهنّا وهي تمسك بسلة تملؤها بزهور الياسمين في أحد حقول القرية الواقعة بدلتا النيل "نحن نجمع الياسمين منذ الطفولة، ويبدأ الجني من منتصف الليل ليستمر حتى الثامنة أو التاسعة من صباح اليوم التالي... حسب الرزق". ويمتد موسم الياسمين من شهر يونيو حتى شهر نوفمبر.

وتوضح مهنّا بعد أن استبدلت المصباح بقبعة لحماية رأسها من أشعة شمس الصباح، "جمع الياسمين مهمة تحتاج إلى تركيز شديد. نجمع الزهور المتفتحة، أي النوارة، أما المغلقة أو البلح كما نسميها، فنترك للجني التالي".

ووفقا لإحصاءات الاتحاد الدولي لتجارة الزيوت والعطور عام 2015، فإن مصر والهند هما المنتجان الرئيسيان لنحو 95 في المئة من عجينة الياسمين العطرية في العالم.

في مصر، تقع أكثر من 90 في المئة من مزارع الياسمين في محافظة الغربية، بمدينتي قطور وبسيون وقرية شبرا بلولة حيث يتركز معظمها.

على طريق ترابي ضيق تحيط به حقول الياسمين الخضراء المطعمة بالزهور البيضاء، يتجمع مزارعو وجامعو الياسمين بشبرا بلولة في ساعة مبكرة من الصباح مع عربات النقل المحمّلة بسلال زهور الياسمين أمام أبواب مصنع "فخري للزيوت العطرية" الذي يستقبل معظم إنتاج المحافظة.

داخل المصنع، يراقب المدير والمهندس بدر عاطف عملية تسلّم زهور الياسمين ووزنها، ويقول، "حاليا، هناك نحو ألف فدان من الياسمين في المنطقة".

ويوضح أن إنتاج مصر من عجينة الياسمين في موسم زراعة الزهور العطرية يبلغ حوالي خمسة أطنان، ونصيب مصنع فخري منها نحو ثلاثة أطنان، "نحصل بين 60 و70 في المئة من زهور الياسمين على مستوى المحافظة".

ويروي عاطف، أن فخري هو "أول مصنع أنشئ في مصر لصناعة الزيوت العطرية". وكان صاحبه أحمد فخري أول من "أدخل شجرة الياسمين إلى مصر" في الستينات، وجلبها من مدينة غراس في فرنسا حيث كان يدرس.

وتقع غراس على ساحل المتوسط وهي معروفة بزراعة الأزهار والنباتات المستعملة في صناعة العطور.

يقول عاطف، إن أحمد فخري "علّم المصريين زراعة الياسمين، حتى أصبح الإنتاج اليومي من زهور الياسمين حاليا حوالي 20 طنا".

ويعمل المصنع على استخلاص العجينة العطرية من الزهور بالإضافة إلى زيت الياسمين الخام.

ويوضح عاطف أن عملية تصنيع عجينة الياسمين تبدأ من مرحلة الزراعة وهي مرحلة تستمر لأشهر طويلة من السنة، وكل شجرة ياسمين تطرح زهرات تجمع يوميا خلال المساء فقط، لأن زهرة الياسمين شديدة الحساسية لضوء الشمس، فهي مغطاة بمادة شمعية تعزلها عن حرارة الشمس ومليئة بالزيوت الطيارة، ولو تم جمعها أثناء النهار في ضوء الشمس، فسيتعرض الشمع للإذابة، ومن ثم تبخر الزيوت الطيارة وبالتالي تموت الزهرة ولا يستفاد من رحيقها.

وعقب انتهاء مرحلة الجني يتم تجميع زهور الياسمين في ما يعرف بالمجمع، الذي يقوم بتجميع محصول كل يوم، ثم يتم إرساله إلى المصنعين القائمين في القرية، وهناك توضع الزهور بعد غسلها جيدا في إناء كبير لفصل الشمع عن زهور الياسمين بواسطة البخار الناتج عن التعرض لغاز الهيكسان.

ويقول عاطف، إن الزهور تنتقل بعد ذلك إلى ما يعرف بـ"القابلة" لاستخلاص الزيت من الزهرة، ثم يدخل بعد ذلك إلى المعمل لإنتاج العجينة التي تصدّر إلى الخارج لاستخدامها في تصنيع العطور والأدوية الطبية.

وتعد الهند أبرز منافس لمصر في إنتاج الياسمين، وفقا لعاطف، بسبب أسعارها المتدنية، "ما يجعل مصر مضطرة إلى خفض سعر منتجها للمنافسة بالرغم من جودته الأفضل". والياسمين من الزراعات المستهلكة للمياه التي يستقدمها المزارعون من نهر النيل القريب.

يقول معتز عبدالفتاح، المهندس الزراعي المشرف على الحقول المملوكة لمصنع فخري، "يُروى الفدان ثلاث مرات في الشهر".

> مصر والهند هما المنتجان الرئيسيان لنحو 95 في المئة من عجينة الياسمين العطرية في العالم بحسب إحصائيات 2015

ويضيف عبدالفتاح (62 عاما)، "يستهلك الفدان بين 450 و500 متر مكعب من المياه في عملية الري الواحدة".

ولا يُجمع الياسمين سوى بالطريقة اليدوية، ما يتطلب مجهودا كبيرا من العاملات اللاتي يقمن بعملية القطف.

ويقول عبدالفتاح الذي يعمل في مجال زراعة الياسمين منذ 34 عاما، إن "متوسط محصول الفرد في اليوم من الجمع يبلغ بين 2 إلى 5 كيلوغرامات من زهور الياسمين".

ويتم تصدير قرابة مئة في المئة من إنتاج مصر من الياسمين، إلا أن انتشار جائحة كورونا في العالم هذا العام أثّر سلبا على تصدير العجينة العطرية الذي تراجع إلى النصف تقريبا، وبالتالي، انخفضت عمليات الشراء من المزارعين.

عائد قليل لزهرة عطرة

ويعمل معظم أهالي شبرا بلولة في زراعة وجمع النباتات العطرية وعلى رأسها الياسمين، فضلا عن إنتاج الأرنج والريحان والفل.

وتعيش من مزارع الياسمين في الغربية نحو 50 ألف أسرة، وفق عاطف الذي يوضح أن أسعار البيع إلى المصنع تحدد "بحسب السوق الخارجية بعد توزيع المصدّرين للعينات".

ويبلغ سعر الكيلوغرام من زهور الياسمين حاليا 40 جنيها (2.5 دولار).

وتبلغ تكلفة زراعة الهكتار الواحد (حوالي 2.5 فدان) من الياسمين في السنة نحو 6500 دولار، بما في ذلك مصاريف الجني، وفق تقرير الاتحاد الدولي لتجارة الزيوت والعطور، ما يجعل المزارعين أقل المستفيدين من منتج تباع العطور المصنعة منه بأسعار مرتفعة جدا في كل أنحاء العالم.

وتقول وفاء التي تقطن في شبرا بلولة، "لم أعمل في جمع الياسمين هذا العام.. عمري ستون عاما، هل من العدل أن أقف لأقوم بجمع الياسمين لساعات طويلة تحت أشعة الشمس الحارقة من أجل 20 أو 30 جنيها (حوالي دولارين)؟".

وتضيف، "قف دقيقتين تحت الشمس فستعرف قيمة أجرة الجامع.. كل شيء ثمنه مرتفع اليوم.. ولكن الفلاح لم يبق له شيء". رغم ذلك، يجد الفلاحون في جمع الياسمين، خصوصا قبل شروق الشمس، متعة كبيرة.

تقول مهنّا، "حلاوة الجني أننا نكون موجودين كلنا هنا، نعمل ونحكي ونتسامر".

تهريب المواشي يجبر الرعاة في العراق على هجر المهنة

بغداد – في قرية نائية بالطرف الجنوبي من مدينة بعقوبة، مركز محافظة ديالى شرقي العراق، يقف سعد العبيدي وهو راعي أغنام يمارس هذه المهنة منذ أكثر من نصف قرن، وهو يردد، "رحل العصر الذهبي للمهنة لم يبق سوى بقايا متناثرة من قطعان الأغنام في الأرياف".

وقال العبيدي (65 عاما) لوكالة أنباء شينخوا "إن مهنة رعي الأغنام تعد أقدم المهن في ديالى، وهي تعود إلى حقب زمنية بعيدة وكانت تمثل مصدر رزق لمعظم سكان القرى الذين يعتمدون في حياتهم على الزراعة ورعي الماشية سواء من الأغنام أو الأبقار وبشكل أقل الماعز"، لافتا إلى أن هذه المهنة بدأت تشهد رحيلا سريعا لروادها الأمر الذي يهدد باندثارها.

وأضاف أنه قبل عقدين، كان لديه 300 رأس من الأغنام واليوم لم يبق منها سوى 36 رأسا، لافتا إلى أن المهنة تعاني من تحديات عدة، من بينها تدفق الأغنام المهربة من دول الجوار وبيعها في أسواق ديالى بأسعار بخسة، وإغراق الأسواق باللحوم المستوردة.

وتتميز محافظة ديالى بأنها ذات طبيعة زراعية وفيها أراض منبسطة واسعة، ولذلك تعد بيئة خصبة لتربية الأغنام والماشية بكل أنواعها.

أما عدي خميس (27 عاما)، وهو شاب يرعي الأغنام منذ سبع سنوات، فقال إن "لديه 50 رأسا من الأغنام وبعض الأبقار يرعى بها قرب منطقة خان بني سعد (20 كم) جنوب غرب بعقوبة"، وبيّن أنه "عمل غير مقنع بالنسبة لي لأن الجدوى الاقتصادية منه غير كافية، وأنا شاب في مقتبل العمر، وأحلم بعمل أفضل ومستقبل أكثر استقرارا لعائلتي، ولو حصلت على فرصة عمل أفضل سأغادر هذه المهنة على الفور".

وأوضح أن "أغلب أقرانه ممن كانت لديهم قطعان من المواشي، قاموا ببيعها والتحقوا بوظائف حكومية وخصوصا في القوات الأمنية، وهم اليوم يحصلون على رواتب جيدة تؤمن مستقبلهم ومستقبل عائلاتهم".

وأشار خميس إلى أن القرية التي يقطنها كان فيها 50 شخصا يمارسون مهنة الرعي، ولم يتبق منهم اليوم سوى ستة رعاة فقط، لافتا إلى أن "مهنة الرعي من المهن الصعبة والتي تحتاج إلى القوة الجسدية لأننا نقطع يوميا العشرات من الكيلومترات خلال رحلة الرعي، ومع تقدم العمر فإن هذه المهنة لن تكون صالحة لي بعد سنوات من الآن".

ومن جانبه، أكد رعد مغامس رئيس اتحاد الجمعيات الفلاحية في ديالى، أن "أكثر من 40 في المئة من مربي المواشي في ديالى، قد تركوا المهنة بالفعل وتوجهوا لممارسة أعمال أخرى أو وظائف حكومية".

وأضاف أن هناك عوامل متعددة تقف وراء ابتعاد مربي الأغنام عن هذه المهنة التي ورثوها عن آبائهم وأجدادهم، ولعل في مقدمة هذه الأسباب ضعف الدعم الحكومي لهذه الشريحة المهمة التي تدعم اقتصاد المحافظة وتوفر اللحوم والألبان ومشتقاتها للسوق المحلية.

يضيع العمر بلا فوائد

وتابع مغامس أن الأمراض والآفات والاضطرابات الأمنية التي عاشتها المحافظة طيلة السنوات الماضية ونزوح الكثير من العوائل التي تمارس مهنة الرعي عن قراها، أسهمت هي الأخرى في إضعاف قطاع تربية المواشي.

وشهدت محافظة ديالى بعد 2005 اضطرابات أمنية دامية أدت إلى نزوح عشرات الآلاف من الأسر عن مناطق سكنها وحصول اختلال في البيئة الزراعية استمرت لسنوات، ما أثر على كل المهن في تلك المناطق ومنها مهنة رعي الأغنام وتربية الماشية.

واعتبر غالب حسن (35 عاما)، وهو تاجر مواش، أن ديالى تعد من المحافظات التي تميزت لعقود بوفرة قطعان الأغنام والماشية، وهناك سوق كبيرة لبيع وشراء المواشي بالقرب من مدينة بعقوبة لا تزال قائمة حتى اليوم، إلا أنها فقدت الكثير من زبائنها سواء من الباعة أو المشترين، لافتا إلى أن الاستيراد غير المبرمج للحوم وتهريب المواشي عبر الحدود مع دول الجوار تقف وراء تدهور سوق المواشي وتربيتها في المحافظة. وأضاف أن الأغنام والماشية العراقية تتميز بجودة لحومها وغزارة إنتاجها من الحليب والأصواف، وهي قادرة على تلبية حاجة السوق المحلية بشكل كامل، ولكن قطاع تربية المواشي بحاجة إلى الدعم الحكومي سواء بتوفير الأعلاف والأدوية للمربين وبأسعار مدعومة أو من خلال السيطرة على الاستيراد والتهريب.

> 40
> في المئة من مربي المواشي في ديالى تركوا المهنة وتوجهوا لممارسة أعمال أخرى

وأشار حسن إلى أن تربية المواشي وتجارتها يمكن أن توفرا فرص عمل للكثير من العاطلين فيما لو تم تنشيط هذا القطاع ودعم العاملين فيه.

ويبلغ عدد سكان محافظة ديالى شرقي العراق نحو مليون و250 ألف نسمة ويعمل معظم سكانها في قطاع الزراعة، فضلا عن مهنة الرعي وتربية المواشي التي أصبحت مهددة بالاندثار.